

الغوة الشرقية: عوامل القوة ونقاط الضعف والتهديدات المحيطة

الكاتب: رشيد حوراني

تاريخ النشر: ٢٠١٨/٠١/٠٣

المحتويات:

٢	تمهيد عام عن الغوة الشرقية
٤	القسم الأول: أساليب النظام في محاولات السيطرة على الغوة الشرقية
٤	أ – الحرب النفسية والشائعات والترويج لحملات عسكرية عبر الصفحات المؤيدة
٥	ب – التصعيد العسكري البري والجوي وتشديد الحصار
٧	القسم الثاني: عوامل القوة والضعف في مواجهة النظام
١٠	القسم الثالث: الدور الإيراني والروسي في الضغط العسكري
١١	القسم الرابع: السيناريوهات المتوقعة للمنطقة الأكثر تهديدا على النظام وبقائه
١٢	القسم الخامس: التوصيات
١٣	الخاتمة



ولم يتوقف النظام وحلفاؤه خلال الأعوام الثلاثة الماضية عن محاولة اقتحام الغوطة الشرقية مستخدماً في سبيل ذلك شتى أنواع الحرب العسكرية ومن محاور مختلفة (عربين - حزرما - دوما - زمكا) والبروباغندا الإعلامية وقد واجهتها فصائل الغوطة الشرقية ببيانات عبرت من خلالها عن رؤيتها حول مصطلح "المصالحة"، ورفضها لأي حديث بهذا الخصوص.^٢

وقد أدى عجز - النظام- عن ترويض مصطلح "المصالحة" في الغوطة الشرقية إلى الانتقال إلى سيناريو أطلق عليه اسم "المصالحات الوطنية" في محيط العاصمة دمشق عامة لتأمينها بشكل كامل، وتطبيق الغوطة خاصة بمدن بدأت بالمصالحات بشكل منفصل، من داريا إلى معضمية الشام ثم خان الشيوخ وزاكية وكنّاكر وقديسيا والهامة وفي مدينة التل. ووادي بردى.

وفي هذا الخصوص أشار محافظ ريف دمشق أثناء اجتماع للمصالحة الوطنية بحضور رئيس مركز المصالحة الروسي في سوريا، العماد إيغور ترتشينيوك، وعدد من الشخصيات العسكرية وأعضاء مجلس الشعب. أنه لن تبقى بعد تلك المصالحات سوى الغوطة الشرقية التي ستكون فيها نهاية "المصالحات" في ريف دمشق^٣، وتركيز جهده العسكري على جبهاتها. ولهذا بدأ مطلع عام ٢٠١٦م مدعوما بالروس والمليشيات الطائفية بشن هجوم واسع على أحياء برزة والقابون وتشرين ولم يشفع لها أن أبرمت هدناً مع النظام منذ العام ٢٠١٤ بهدف تحييدها، ولم يكبحه سريان اتفاق وقف إطلاق النار المعلن في ٢٠١٦/١٢/٣٠م ساعياً من وراء ذلك إلى خنق الغوطة الشرقية الخاضعة لفصائل وقوى الثورة في محاولة لتركيعها على غرار ما حدث في شرقي حلب أواخر العام الماضي، أو عقد اتفاقات معها على غرار الاتفاقات التي تمت في ريف دمشق الغربي، وأفضت لتهجير جزئي أو كامل للسكان، وترحيل قوات المعارضة إلى الشمال السوري^٤.

وبناء على ما سبق تعالج هذه الدراسة الوضع العام في الغوطة الشرقية باعتبارها إحدى أهم المناطق الخاضعة لاتفاقية خفض التصعيد، وأبرز معاقل مقاتلي المعارضة في محيط العاصمة دمشق وميزان القوى شبه المتوازن مع النظام^٥، ومدى قدرة مكوناتها الثورية على تبديل الوضع القائم في ضوء عدم التزام النظام وحلفائه بالاتفاقية المذكورة وكسر ما يروج له من انتصار، فتتناول في قسمها الأول أساليب لجأت إليها قوات النظام وحلفاؤها في محاولاتهم المتكررة للسيطرة عليها، وتبين في قسمها الثاني عوامل القوة والضعف في مواجهة النظام، ويسلط القسم الثالث الضوء على المحاولات المحمومة لكل من روسيا وإيران لاختضاعها، ثم نفرد في قسمها الأخير السيناريوهات المتوقعة للمنطقة الأكثر تهديداً على النظام وبقائه.

(١) عنب بلدي - كيف ينظر قياديو الفصائل والهيئات المدنية إلى المصالحة في الغوطة؟ <https://www.enabbaladi.net/archives/118678>

(٢) عنب بلدي - محافظ ريف دمشق نهاية المسامحات ستكون في ريف دمشق <https://www.enabbaladi.net/archives/124948>

(٤) الجزيرة نت - خنق الغوطة الشرقية عبر ضواحي دمشق الشرقية <https://goo.gl/2MGClo>

(٥) كلنا شركاء - الناطق باسم المجلس العسكري: القوة الكامنة في غوطة دمشق كقيلة بقلب الموازين - محمد كساح

<http://www.all4syria.info/Archive/391812>

القسم الأول: أساليب النظام في محاولات السيطرة على الغوطة الشرقية

اعتمد النظام من الناحية العسكرية مبدأ القضم البطيء للمناطق الصغيرة في الغوطة الشرقية والهامة عسكريا واستطاع منذ أكثر من عامين من خلال مجموعة هجمات عسكرية نفذها مترافقة مع القصف الجوي والمدفعي الكثيف السيطرة على الكثير من المناطق والبلدات الاستراتيجية (زبدین - دير العصافير - عدرا العمالية - عدرا البلد - حوش الفارة) كانت خاضعة بأكملها لسيطرة المعارضة وقوى الثورة التي تنتشر حاليا في المناطق الممتدة من مزارع كفر بطنا إلى حدود مخيم الوافدين من الجهة الجنوبية، ومن حرستا باتجاه مزارع الشيفونية، ومن دوما باتجاه مزارع البحارية جنوب شرق دوما، وبالتالي تعتبر منطقة الغوطة الشرقية محاصرة بين نقاط وجود قوات النظام من جميع الاتجاهات، إلا أنه ركز منذ بدء العدوان العسكري الروسي على سورية في ٣٠ أيلول ٢٠١٥ على حربين طاحنتين في محاولاته للسيطرة على الغوطة الشرقية هما:

أ - الحرب النفسية والشائعات والترويج لحملات عسكرية عبر الصفحات المؤيدة

شكلت الغوطة خلال السنوات الماضية، أخطر المناطق التي تهدد النظام بمحيط دمشق، ففيها وعلى أطرافها، دارت أشرس المعارك بين قوات النظام وقوى الثورة والمعارضة. ونجحت المعارضة بإكمال السيطرة عليها، ولم يتوقف قصف النظام الجوي والمدفعي، على بلدات الغوطة الشرقية، وكذلك المحاولات شبه اليومية لقواته البرية التقدم على محاور القتال. لكن جهوده العسكرية لم تسمح له بالسيطرة عليها مما دفعه للجوء إلى حلول بديلة كالإلقاء المناشير فوق المناطق التي تسيطر عليها قوات المعارضة لزرع الخوف والحيرة في نفوس القاطنين (الصورة رقم ١) مترافقة مع التصعيد الميداني على الجبهات والعمل على تسخينها باتهامات لا وجود لها.



وظهر ذلك جليا فيما اتهمت به روسيا مقاتلي جي جوبر بقصف سفارتها في دمشق في تشرين الأول من العام ٢٠١٦ م في وقت لم يُسجل فيه أي قصف للسفارة الروسية في دمشق كما لم يتبن أي فصيل هذا الهجوم، وهو ما اعتبره مراقبون أنه مؤشرات على استعدادات روسية لقصف الحي تمهيدا لتقدم قوات النظام خاصة أنه تزامن مع المفاوضات مع أهالي قدسيا والهامة وتجدد القصف عليهما للضغط وإخراج المقاتلين منهما.^٦

(٦) الشرق الأوسط - نذير رضا - النظام يسعى للسيطرة على دمشق الكبرى <https://goo.gl/cOC7cG>

كما بث تلفزيون النظام السوري في كانون الثاني من العام ٢٠١٧م تقريراً عن اجتماع شارك فيه وجهاء من دوما، ومسؤولون حكوميون، ورجال دين سنّة، وضباط روس في دمشق ناشد فيه علاء ابراهيم محافظ دمشق الحاضرين إقناع {المتمردين} في الغوطة الشرقية بـ "الإفادة من مرسوم العفو الرقم ٢٠١٦/١٥، والمبادرة، بموجب ضمانات روسية، إلى إبعاد المسلحين الذين لا يرغبون في المصالحة"، وبالتالي "تحرير المدنيين في دوما"^٧،

وفي الحقيقة أن هذه المفاوضات كانت سرية تم الكشف عنها في السابع من تشرين الأول من العام ٢٠١٦م تشكلت لجنتها من أشخاص من دوما مقيمون في دمشق رفض خلالها المجتمعون بهم من دوما (رئيس مجلس الأمناء - رئيس المجلس المحلي في دوما) أي حديث أو هدنة عن دوما وحدها باعتبارها جزءاً لا يتجزأ من الغوطة الشرقية، وخروج وفد لمفاوضة النظام في دمشق، بل طالبوا اللجنة المذكورة بإجراءات من قبل النظام تدل على حسن نيته^٨.

وفي مطلع شباط من العام ٢٠١٧م، رفع الأسد وحلفاؤه الروس سقف الرهانات عبر الإعلان بأن معبر مخيم الوافدين على مقربة من دوما، سوف يُستخدم بمثابة معبر للخروج الآمن للمدنيين والمسلحين بعد تسليم أسلحتهم، مع تحديد أوقات معينة لعمل المعبر، مبررة ذلك برغبة النظام و"مركز المصالحة الروسي" في مساعدة المدنيين الذين "يمنعهم مسلحو جبهة النصرة من المغادرة." تحت إشراف الروس بين ٢ و١٣ شباط جوبهت بالرفض والسخرية من الأهالي في الغوطة نظراً لعدم ثقتهم في معابر النظام، حيث لم يتوجه إليها أحد لأنها لا تهدف إلا إلى تهجيرهم من أرضهم^٩.

يمكن القول أن النظام وحليفه الروسي استخدموا كافة صور وأساليب الحرب النفسية التي برع فيها الروس منذ الحقبة السوفياتية من نشر للشائعات لإضعاف الروح المعنوية، والتهديد باستخدام القوة، وبث الذعر والضغط النفسي، واستخدام الكلمة المسموعة والمقروءة (المناشير الورقية) لتحقيق التشتت والفرقة وزعزعة الثقة بالهدف المنشود، وحاول في سبيل ذلك الاستثمار في الاقتتال البيئي بين فصائل المعارضة في الغوطة الشرقية الذي لا يرد سببه إلى حربه المذكورة.

ب - التصعيد العسكري البري والجوي وتشديد الحصار

سبق التدخل العسكري الروسي استهداف قوات النظام لسوق شعبية وسط مدينة دوما بالصواريخ الفراغية أدى إلى مقتل نحو ١٠٠ شخص، وإصابة أكثر من ٣٠٠ آخرين بجروح^{١٠}، عقب ذلك نجح أحد فصائل قوى الثورة والمعارضة (جيش الإسلام) في معركة "الله غالب" بالسيطرة على عشرات الثكنات والنقاط والحواجز العسكرية لقوات النظام، في المرتفعات الجبلية المطلة على الغوطة من جهة القلمون الغربي.

ولكن في نهاية أيلول الذي شهد هذه المعارك، أخذ خطر المعارضة في محيط دمشق بالتراجع تدريجياً وذلك لبدء الغارات الروسية على مواقع المعارضة في سوريا، بالإضافة إلى نجاح النظام في بسط سيطرته على القطاع الجنوبي للغوطة

^(٧) مركز كارنيغي للشرق الأوسط - أفول نجم الثوار في الغوطة الشرقية - آرون لوند <http://carnegie-mec.org/diwan/68034>

^(٨) عنب بلدي - ثلاث زيارات للجنة النظام إلى دوما وصكوك استسلام بالروسية <https://www.enabbaladi.net/archives/109737>

^(٩) الجزيرة نت - ماذا يُعد النظام لغوطة دمشق الشرقية <https://goo.gl/DqLc9M>

^(١٠) الموقع الرسمي لمنظمة هيومن رايتس - مجزرة دوما مجزرة جديدة في دوما وقتل لأكثر من ١٠٠ مواطن

<http://humanrights-monitor.org/Posts/ViewLocale/15276#.WOKAJ4jyvIU>

الشرقية. ولم يتوقف قصفه الجوي والمدفعي على مدن وبلدات الغوطة الشرقية بعد ذلك (عربين، جوبر، دوما، زملكا، حرستا، عربين، سقبا، حمورية وحي جوبر) ولا المحاولات شبه اليومية لقواته البرية التقدم على محاور القتال هناك (حزرما، دوما، حوش نصري، دوما) وكل ذلك أدى إلى خسارة قوات الثورة المعارضة معظم بلدات منطقة المرج في الغوطة الشرقية رغم قرارات وقف إطلاق النار.

وتعيش جيئات الغوطة منذ شهور طويلة حالة من الكر والفر، وتطال يوميا عشرات الغارات جيئاتها وبلداتها، وحملات عسكرية عنيفة ومستمرة لم تتوانَ خلالها قوات النظام وحلفاؤها عن شن هجوماها بالأسلحة الكيماوي والأسلحة المحرمة دوليا، فأطلق الطيران الحربي الروسي ٣ صواريخ محملة بالنابالم الحارق على الأبنية السكنية في مدينة دوما، أسفرت عن سقوط عدد من الجرحى واندلاع حرائق ضخمة في الأبنية السكنية^{١١}، كما استهدف بالصواريخ الفراغية مدينة حرستا في شباط من العام ٢٠١٧م، وشنّت قوات النظام هجوماها بغاز الكلور على جيئة عربين أسفر عن إصابة مقاتلين من الجيش الحربي في شباط ٢٠١٦م، واستهدف بالغازات السامة مدينة حرستا في ريف دمشق الشرقي في تشرين الثاني ٢٠١٥م، واستخدم الغازات السامة في سياق حملته العسكرية على حي جوبر في نيسان ٢٠١٤م^{١٢}. نجم عن كل ذلك مشكلات يمكن حصرها بمايلي:

١- عسكريا يحاصر الغوطة عدو واحد بشكل دائري ويقوم بنقل اتجاهات هجومه وفقاً للموقف المتشكل بما يخدم الفكرة العسكرية والحرب النفسية لديه، ويحاول استثمار نجاحاته في حال وجودها على المحاور وهو أمر يجعل من الدفاع الأساس في العمل العسكري دون إهمال أو غياب الأعمال الهجومية في بعض الأحيان تبعا للموقف المحتمل على الأرض.

٢- القصف العشوائي اليومي، بالطيران الحربي أو برجمات الصواريخ أو بمدافع الهاون، أو برصاص القنص البعيد على بعض أطراف الغوطة، حيث لا يكاد يمر يوم دون أن يسقط قتيل في الغوطة بشكل عام وفي مدينة دوما بشكل خاص، وهو ما ولد لدى البعض إحساس بالضيق والتشتت زاد من حدته الاقتتال البيئي بين الفصائل في العام ٢٠١٦م.

٣- ارتفاع شامل لكافة أسعار السلع والمواد يزداد شدة مع كل حملة عسكرية أو تصعيد يقوم به النظام على جيئات الغوطة حيث يسمح بإدخالها قبل ذلك بطرق عدة من مناطقه، بالإضافة إلى إغلاقه للأنفاق ومنعه ما كان يدخله التجار الكبار، وانخفاض حاد لسعر الليرة، وتدني دخول العاملين فيها، وهو ما جعل الحصار أقسى الأسلحة التي استخدمها الأسد وأكثرها تأثيرا في تحقيق مأربه العسكرية والسياسية بسبب مفرزاته الإنسانية على الأطفال والنساء والشيوخ.

^(١١) المركز الصحفي السوري – قصف بالنابالم على مدينة دوما بالغوطة الشرقية <https://goo.gl/Uwoiqd>
^(١٢) عربي ٢١ النظام السوري يستخدم غازات سامة في حي جوبر الدمشقي <https://goo.gl/jXmePP>

يضاف إلى ما سبق لجوء النظام في محاولاته الأخيرة للسيطرة على أحياء برزة والقابون وتشيرين إلى تحريض المدنيين لمنع فصائل المعارضة من إعادة التمركز والتصعيد ضد النظام بعد تهديدات قوات النظام بقصف المنطقة^{١٣}. وبذلك يكون النظام قد تمكن من توظيف الكتلة البشرية المتهكة في تلك المناطق جراء الحصار والقصف إلى جدار صد أول أمام أي تحرك ضده تقوده المعارضة.

القسم الثاني: عوامل القوة والضعف في مواجهة النظام

تتعرض الغوطة الشرقية إلى تصعيد عسكري غير مسبوق من قبل الطيران الروسي والميليشيات الإيرانية منذ بدء العدوان الروسي يزداد شدة مع أي تحرك تقوده المعارضة.

وما إن انطلقت معركة "يا عباد الله اثبتوا" شنت قوات النظام و حلفاؤها حملة شاملة استهدفت خلالها الأحياء السكنية والتجمعات السكانية والمرافق الحيوية والجهات وخطوط التماس؛ لعجزها عن إحداث أي خرق على جبهات قوى الثورة والمعارضة"، وهو ما يُشير إلى شبه توازن في ميزان القوى في الغوطة الشرقية، وقدرة قواتها على تنفيذ الخطط العسكرية المتباينة والمتناغمة وفقا لاتجاه الهجوم وللموقف العام والتبدلات الطارئة على أرض المعركة

ورغم امتلاك النظام وحلفائه السلاح النوعي والطيران، واعتياد مقاتلي الغوطة وأهلها على المعارك المستمرة، لا بد من تحديد نقاط القوة ونقاط الضعف (الإيجابيات والسلبيات) وتحديد الإيجابيات والسلبيات الموجودة (الفرص والتهديدات) لدورها إذا ما تم إدراكها بشكل كامل في الكشف عن قوى إيجابية يمكن توظيفها لتعمل مجتمعةً وعن مشكلات محتملة يجب التعامل معها أو إدراك وجودها وصولاً إلى التخطيط الاستراتيجي واتخاذ القرارات.

(١٣) المرجع مكرر رقم ٤

خارجية		داخلية	
التهديدات (تخفيف نقاط الضعف)	الفرص (استخدام نقاط القوة للاستفادة من الفرص)	نقاط الضعف	نقاط القوة
<p>ضرورة وعي أن النظام يرى في الهدن أنها أمر مرحلي مؤقت وتأخير لعملية الاستهداف الممنهج لهذه المناطق في وقت لاحق، فهو لا يزال يتحكم في مداخل ومخارج المدن، ولا يسمح بإدخال إلا كميات محدودة من الإعانات لهذا باتت إعادة ترتيب الأولويات لدى كافة الجهات المعارضة ضرورة ملحة يضع ملف فك الحصار على رأس الأولويات كي لا يؤدي إهماله إلى نتائج كارثية على المعارضة السورية وخاصة في ريف دمشق كونها تهدف إلى تفتيت الأرضية التي تعمل عليها وتمزيق حاضنتها الشعبية^{١٧}، التي باتت بحاجة إلى من يضمن جراحها كونها المستهدفة في خطط النظام للضغط على المقاتلين.</p>	<p>العجز البشري في قوات النظام مما دفعه إلى تنفيذ عمليات الدهم والاعتقال بقصد التجنيد الإجباري أو اعتقال الشبان على الحواجز، كما حدث في مدينة التل، أو عن طريق الدعوات للتطوع في صفوف جيش النظام والمليشيات الموالية، من خلال تقديم المغريات المادية والخدمة داخل مدنها أو في محيطها كما حدث في قدسيا دون أن يلتزم النظام بوعوده التي أغرى بها المتقدمين^{١٨} مستغلا إفراغ عدد كبير من البلدات والمدن من المقاتلين والأهالي " ريف دمشق خاصة"، حيث أصبحت تلك المدن هشة وضعيفة وغير قادرة على مواجهة الأسد أو الوقوف ضد مشروعه.</p>	<p>الحصار وإفرازاته على كافة الصعد وخاصة على المستوى الاجتماعي والطبية حيث لا يوجد رقم حقيقي لعدد ضحايا الحصار^{١٥} إلا أنه أدى إلى انتشار عدة أمراض خطيرة بين المدنيين وظهور الكثير من الأعراض المرضية على معظم سكان الغوطة "نقص التغذية" وتوقف أغلب المرافق العامة عن العمل لعدم توفر المحروقات، وانتشار حالات السرقة والتسول بين الأطفال والنساء بسبب الفقر والحاجة.</p>	<p>الموقع الجغرافي القريب من العاصمة دمشق مع القوة الكامنة لدى فصائل المعارضة السورية في الغوطة الشرقية التي كشفت عنها معركتنا "الله غالب" و"يا عباد الله اثبتوا" وبلوغ المعارضة ذروة تهديدها لقوات النظام وسيطرتها على عشرات النقاط والحواجز العسكرية لقواته "قيادة الأركان الاحتياطية - كراج العباسيين" وإفشالها ومحاولات قواته البرية شبه اليومية للتقدم على محاور القتال دون تحقيق ذلك، باستثناء سقوط عدد من المناطق خلال فترة الاقتتال بين جيش الإسلام وفيلق الرحمن^{١٤}.</p>
	<p>ترهل وضعف قوات النظام الأمني والتكتيكي والإداري وهو ما نشره موقع "روسيا اليوم" عن صحيفة "نيزافيسيمايا غازيتا" الروسية، حيث هاجمت فيه قوات النظام وأقرت بهروب قوات النظام من مواقعها خلال المعارك والمواجهات الأخيرة شرق</p>	<p>دور تجار الحرب في تشديد الحصار ورفع الأسعار: ذكرت إحدى الصفحات الخاصة بمدينة دوما أنه ما إن انتشر خبر كسر الحصار في الغوطة الشرقية أواخر العام ٢٠١٣م حتى سارع أصحاب المحال إلى عرض منتجاتهم بكثافة ما يوحى بوجود محتكرين للمواد يتمنون اشتداد الحصار أكثر ليستفيدوا</p>	<p>فشل النظام في استهداف العلاقة القائمة بين الثوار والحاضنة المدنية لهم: من خلال إشعارها بعجز الثوار عن تأمين احتياجاتهم اليومية والقدرة على فك الحصار. وليس أدل على ذلك من خروج الأخيرة أكثر من مرة في مظاهرات تطالب الفصائل بالتوحد للوقوف في وجه النظام ومليشياته أو وقف الاقتتال البيني وبدا ذلك جليا في</p>

(١٤) المدن - هل يتكرر سيناريو حلب في الغوطة الشرقية - عمر بهاء الدين <https://goo.gl/ldKBXb>

(١٥) المرجع مكرر رقم ١

(١٦) صوت العاصمة - مناطق التسوية في ريف دمشق ثوار الأمس شبيحة اليوم <http://damascusv.com/archives/1002>

(١٧) الجزيرة نت - الهدن والمصالحات في سورية ومآلاتها الاستراتيجية <https://goo.gl/4qli9o>

<p>دمشق، وأن ضباط النظام يفهمون بصعوبة بالغة معنى الانضباط العسكري وضرورة تنفيذ المهمات القتالية^{٢٠}.</p>	<p>ماليا برفع الأسعار، وبعد استهداف نظام الأسد أحياء القابون وبرزة وتشرين تشهد الغوطة الشرقية ارتفاعاً كبيراً بأسعار المواد الغذائية والمحروقات، وجّه على إثر ذلك خطباء المساجد في خطب الجمعة أن السبب وراء ارتفاع الأسعار إلى التجار أنفسهم، نتيجة احتكارهم للبضائع وسعيهم مع النظام في الضغط على الأهالي المحاصرين^{١٩}، وقد تكرر الأمر عينه في ريف حمص الشمالي وحي الوعر حيث انخفض على سبيل المثال ليتر البنزين من (٦٠٠٠) آلاف ليرة إلى (٢٠٠٠) ليرة عقب التوصل إلى الاتفاق.</p>	<p>المعارك الأخيرة ١٩ آذار ٢٠١٧ م شرق دمشق بإطلاق نساء الغوطة حملة "إطعام مجاهد" عكست صورة أن الغوطة تقاتل برجالها ونساءها على حد سواء^{١٨}، وقيام الآلاف من الشبان المتطوعين بتسجيل أسمائهم للالتحاق بالجهات</p>
<p>لأن الثورة لم تكن بقرار سياسي عن تنظيم ما فإنها عانت من المحلية التي أنتجت الفصائلية التي غرقت بدورها في الكيدية فيما بينها تجلت في الاقتتال البيئي فيما بينها وكان أشده في الغوطة الشرقية وخلف ترسبات مادية ومعنوية مؤلمة في الحاضنة الشعبية يمكن الخروج منها باستثمار ما تمتلكه فصائل المعارضة السورية في الغوطة الشرقية من الناحيتين العسكرية والإدارية في التنسيق فيما بينها ونقل المعركة إلى أرض العدو، مستفيدين من انعدام ثقة الحاضنة الشعبية في المناطق التي يسيطر عليها النظام كونها لا ترى فيهم إلا عناصر تعمل على اعتقالهم وسوقهم للتجنيد على حواجزها (٣٠٠) المنتشرة في دمشق، ورسائله النصية عبر شبكة اتصالاته الرسمية التي تعرضهم على عدم استقبال أقرانهم النازحين من المناطق التي تسيطر عليها المعارضة.</p>	<p>بيّنت الفوضى التي دخلت فيها العاصمة خلال المعارك شرق دمشق هشاشة المليشيات الموالية التي تنتشر على دمشق، وانعدام الضبط والربط فيما بينها وفقدانها لمجموعات كاملة من مقاتليها، لم يتضح مصيرها بعد، وهو ما دفع روسيا لإنشاء غرفة عمليات بقيادة ضباط روس^{٢١}، سحبت كامل ممثلي المليشيات العراقية منها وأبقت قواتهم في نقاط خلفية عن خطوط التماس وصعدت لهجتها مع كبار ضباط النظام الذين يريدون إقحام قادة عراقيين في غرف العمليات على الرغم من عدم سيطرتهم على المنطقة.</p>	<p>أدى القصف المستمر إلى بروز حركات النزوح المتكرر بسبب تغير الأوضاع الأمنية ضمن الأراضي السورية وكل ذلك ينتج عنه ارتباك في تأمين المتطلبات الأساسية لهم وانعكاسها على النواحي التعليمية والصحية حيث بلغ مجموع العائلات المهجرة في الغوطة الشرقية ٢١.٧٠٠ عائلة: بالإضافة إلى ٢٧٠٠ عائلة مهجرة من أحياء دمشق الشرقية^{٢٢} بسبب المعارك الأخيرة خاصة أن قوات النظام تمنع توجيههم إلى مناطقهم.</p>
<p>ملف الأسرى للنظام لدى الفصائل العسكرية في الغوطة الشرقية من الضباط والعسكريين^{٢٤}،</p>	<p>الموقع الجغرافي للغوطة " عدم وجود حدود لها مع أي دولة - التضاريس المنبسطة " وهو ما انعكس سلباً على العمل العسكري والإنساني. ترافق مع غياب قدرة الفصائل على إنشاء مؤسسة جامعة ومستقلة في تسيير شؤونها وبعيدة عن تدخلهم بل تعتبر امكانياتها بمثابة القوة التنفيذية لتلافي ما سبق ذكره قدر الإمكان " تبي مبدأ الطوارئ وإدارة الأزمات "</p>	<p>قدرة القوى العسكرية على استهداف عمق العدو كاستهدافها بقذيفتين في منطقة كفرسوسة (المربع الأمني للنظام) وسط العاصمة،^{٢١}</p>

^(١٨) الفيحاء نت - نساء الغوطة يسانندن المقاتلين على الجبهات - رواد خليل - <http://alfayha.net/?p=7109>

^(١٩) نظام الأسد وتجار الغوطة يشتركون في الجريمة <https://goo.gl/pdmDt3>

^(٢٠) روسيا اليوم - المعارضة المعتدلة أعارت على دمشق <https://goo.gl/ysdS3i>

^(٢١) المرصد السوري لحقوق الإنسان - خذائف على وسط العاصمة مع مزيد من القصف على القابون - <https://goo.gl/KgEvZu>

^(٢٢) المكتب الإغاثي الموحد في الغوطة الشرقية <https://www.facebook.com/U.R.O.E.G/videos/1190650847714646>

^(٢٣) المدن - معركة دمشق: الروس يتدخلون ويحيدون الإيرانيين <https://goo.gl/CwpNsT>

القسم الثالث: الدور الإيراني والروسي في الضغط العسكري

يعتبر ما قاله قائد الحرس الثوري محمد علي جعفري بأن "النظام السوري يشكل الخط الأول في جبهة المقاومة الإسلامية في المنطقة، ويسير في طريق الثورة الإسلامية الإيرانية" واحداً من تصريحات كثيرة صدرت من إيران تدل على الأهمية الاستراتيجية المطلقة لسوريا بالنسبة لها^{٢٥} وخططها التوسعية فما تقوم به ميليشياتها من تهجير قسري يتبعه التغيير الديموغرافي لسكان المناطق المفيدة وخاصة المحيطة بدمشق، وإحلال عائلات مقاتلي تلك الميليشيات بديلاً عنها يعتبر دليلاً واضحاً على أهدافها التوسعية في المنطقة، لأنه بمجرد سيطرتها على دمشق يكون قد اكتمل الهلال الشيعي، من بغداد مروراً بدمشق إلى بيروت، ما سيسهل لها السيطرة على منطقة الخليج فيما بعد.

ولكن يبدو أنها تسعى في حال فشلت في تحقيق ذلك والحفاظ على نظام ضعيف فتح الباب لها على مصراعيه إلى الخطة البديلة التي تتمثل في التدمير الشامل للدولة المركزية ومقدراتها لا سيما في المدينتين الأكبر "دمشق وحلب" اعتقاداً منها أن ضعف سورية الدولة في المرحلة المقبلة سيعني عجزاً في التأثير في المحيط لاسيما "لبنان والعراق" لأنها تدرك ما لسورية القوية من تأثير كبير في جوارها العربي^{٢٦}.

أما بوتين فقد حاول منذ خطابه في الجمعية العامة للأمم المتحدة في العام ٢٠١٥م تشكيل "ائتلاف موسع" لمحاربة تنظيم الدولة (ISIS) لإنهاء عزلته الدولية التي أعقبت ضم شبه جزيرة القرم وأن تكسب روسيا الشرعية من خلال إعادة توجيه انتباه العالم نحو ما وصفه "القتال ضد العدو الأكبر أهم من الخلاف مع الغرب حول أوكرانيا" وتعزيز دعمه المحلي عبر جمع شعبه حول رأيه في مواجهة العدو الخارجي المتصور. في خطوة مماثلة لما اتبعه في أوكرانيا وأجزاء أخرى من الاتحاد السوفيتي السابق عندما ادعى الحاجة إلى حماية الأقليات الروسية.

وأثبت هذا النهج فعاليته على المدى القصير فقط بعد ضم شبه جزيرة القرم في آذار ٢٠١٤ وارتفعت معدلات الرضا عن «بوتين» إلى ما يفوق ٨٠%^{٢٧}، بالإضافة لما لروسيا من مصالح كثيرة في سوريا: استراتيجية وثقافية واقتصادية كان نظام «الأسد» أقرب حليف لموسكو في العالم العربي لأكثر من ٤٠ عاماً وكانت سوريا أساسية لتنفيذ الاتحاد السوفيتي في الشرق الأوسط.

وتسعى كل منهما "روسيا - إيران" إلى سياسة المصالحات بالقوة؛ وخاصة روسيا حيث شكلت لجان المصالحات ووضعت ممثلين عنها من قاعدة حميميم نظراً لما تحمله في طياتها من أبعاد استراتيجية بعيدة الأثر على التوازن العسكري في جبهات ريف دمشق تعمل على تفتيت الجبهة العسكرية في دمشق وعزل فصائل المعارضة في جيوب معزولة وإشغالها في العمل

^(٢٥) الجزيرة نت - لماذا تستميت إيران في دعم نظام الأسد المتهاك <https://goo.gl/q1Qa4X>

^(٢٦) العربية نت - ياسر الزعاطرة - لماذا تدعم إيران تدمير سورية <http://www.alarabiya.net/views/2012/10/09/242638.html>

^(٢٧) ساسة بوست عن تقرير لفورين بوليسي - لماذا تصر روسيا على دعم بشار الأسد؟ <https://www.sasapost.com/why-does-russia-support-syria>

الإغاثي لإعالة آلاف اللاجئين العائدين إلى مناطقهم^{٢٨}، ولاحقاً يعمل الأهالي أو بعضهم على الوقوف في وجه الجيش الحر من أجل تجنب المنطقة تصعيد النظام و براميله وصواريخه وتجنّب أبنائهم مشاق الجوع والحصار بعد أن استطاعوا أن ينعموا بشيء من الاستقرار "برزة - القابون" وقد ينجح النظام تحت وطأة الحاجة والفقير في تجنيد بعضهم لإعانتته على تحقيق أهدافه "التل - الهامة".

وكلا الدولتان تسعيان من الناحية السياسية لإعادة تأهيل النظام من خلال البرهنة أمام العالم على قدرته على إعادة ضبط المدن والمجتمعات الخارجة عن سيطرته، ودفع عجلة الدولة فيها وبنائها من جديد، بما ينفي مبررات من لا يرى لسوريا مستقبلاً مستقراً في وجوده.

القسم الرابع: السيناريوهات المتوقعة للمنطقة الأكثر تهديداً على النظام وبقائه.

ترفض الفصائل المتواجدة في الغوطة الشرقية رفضاً قاطعاً عقد تسوية مع النظام، الذي يُمرر كل فترة وأخرى عن طريق وسطاء استعداداً للتفاوض، ويصرون على بقاءهم على جبهات القتال على الرغم من صعوبة المعركة باعتبارها حرباً مركبة تختلط بها الحرب التقليدية مع حرب الاستخبارات مع المدن والشوارع والعصابات معبّئين بعقلٍ جمعيّ يحمل في ثناياه ملاحم غوطة دمشق ضد الفرنسيين ورجالاتها الذين لم يسبق لهم في التاريخ الاستسلام. إلا أن عنصر إدارة المعركة يشكل عاملاً أساسياً في تحديد السيناريوهات المتوقعة والتي يمكن إيجازها بما يلي:

١- تكمن أهمية مدينة دمشق وغوطة أنها أهم نقطة وصل وفصل جغرافي بين جنوب وشمال سوريا وتنوع تضاريسها منحها ميزة اقتصادية شكلت عاملاً استراتيجياً في صمود أهلها على مدار سنيّ الثورة وبناء عليه أن تتابع الفصائل المقاتلة معاركها التي اعتادت عليها واعتياد مقاتلي الغوطة وأهلها على المعارك المستمرة الذي لم يسبّب داخلياً أي تغيير في الجو العام، والعمل على تهديد قوات النظام على غرار تهديده في معركتي الله غالب ويا عباد الله اثبتوا مستفيدين من اللحظة الراهنة التي تتمثل بتغير بوصلة السياسة الأمريكية اتجاهه بعد استهدافه مدينة خان شيخون بالغازات السامة واستهدافها مطار الشعيرات بالضربات الصاروخية ومعارك المنطقة الشرقية التي منعتة وحلفائه التقدم شرق الفرات.

٢- احتمالية لجوء النظام إلى توجيه ثقله وإمكانياته العسكرية لمحاربة تنظيم الدولة الإسلامية للفت الانتباه إليه على أنه يحارب الإرهاب؛ ولا يزال من الممكن اعتماده في سبيل تحقيق ذلك وهنا سيغرق في مستنقع حربه مع تنظيم الدولة، ويوفر عوامل الصمود للغوطة الشرقية الذي تنهت فصائلها إلى احتمال التصعيد العسكري ضدها بعد معارك وادي بردى واتفاقية خفض التصعيد.

^(٢٨) الجزيرة نت - الهدن والمصالحات في سورية ومآلاتهما - غياث بلال <https://goo.gl/n7tY31>

٣- مع بدء الحملة العسكرية على حي القابون ارتفعت وتيرة القصف على الحي، مما شكل حركات نزوح كبيرة من هذا الحي باتجاه بلدات الغوطة الشرقية، دون اصطحاب احتياجاتهم ولم تتمكن أي جهة من تقديم استجابة متناسب مع حجم معاناتهم، واستقبلت بلدة حرستا العدد الأكبر من النازحين توزع معظمهم لدى عائلات مضيفة في خطوة أولى لتأمين مساكن لهم، وتعتبر ناحية حرستا غير مستقرة لقرىها من خطوط الاشتباك مما سيضطربهم للنزوح مرة أخرى في حال تقدم النظام أو تصعيد القصف، وقد يلجأ النظام إلى ذلك على محاور حرستا ليشكل النازحون عامل ضغط وشد إلى الخلف على الثوار.

القسم الخامس: التوصيات

١- لا يختلف الحال في الغوطة الشرقية - وخاصة مناطق دوما وحموريه وسقبا-كثيراً عن خان شيخون التي استهدفتها نظام الأسد بالغازات السامة من ناحية الضحايا إلا أن المدنيين قضوا نتيجة سقوط القنابل المتفجرة على منازلهم، لهذا لا بد من الإعداد الجيد والتخطيط وتحديد الهدف ودعم إرادة القتال مع التحضير الدائم للهجوم المعاكس والمباغت.

٢- تتمثل قوة إيران فقط في حزب الله والمليشيات الأخرى، وبمجرد محاصرة تلك المليشيات، ومهاجمتها سيتم التخلص من أخطارها وتقويض الدور الإيراني بالكامل في سوريا، كما أن حزب الله سيكون قد استنزف، وفي هذا الخصوص وجه أحد قادة المعارضة في الغوطة الشرقية اللوم على "الدول الصديقة" منوهاً أنه هناك شعور سائد لدى الناس هنا في ريف دمشق، بأن القوى الداعمة لنا سلمت دمشق وريفها للروس والإيرانيين.

٣- ضرورة وعي المعارضة أنها تخسر أوراق قوتها وتواجهها من خلال التسويات والمصالحات لإضعاف موقفها التفاوضي وتكريس حكم الأسد، وأن تنبئ لمشاريع السلام والحل التي تطرحها روسيا فيما تعمل أدواتها بشكل حثيث على إجراء المصالحات أو التغطية النارية لقوات النظام ومليشياته من أجل التقدم في مناطق عديدة في سورية وإخراجها من مساحات الثورة، ذلك أن الهدف الأهم لروسيا ينصب على إخماد الثورة نهائياً عبر تفكيك حلقات قوتها ثم فرض الحل الذي ترغبه وتريده وهو البقاء على النظام الحالي وعلى رأسه بشار الأسد^{٢٩}.

٤- تتطلب كل النتائج الناجمة عن الحصار من المجالس المحلية في الغوطة الشرقية العمل على إيجاد حلول كالتواصل مع المؤسسات الدولية والجمعيات الخيرية العربية والدولية للعمل على تنفيذ العديد من المشاريع، التي تتعلق بالزراعة، إضافة إلى دعم المجتمع المحلي بالعديد من المشاريع التنموية، التي من شأنها أن تساعد السكان على ما يقارب الاكتفاء الذاتي

^(٢٩) معهد العالم للدراسات - غازي الدحمان - المصالحات في سورية: هل تؤدي للسلام؟ <http://alaalam.org/ar/politics-ar/syria-ar/item/477-586140217.html>

وتنشيط المشاريع الزراعية في أغلب المناطق وكف يد تجار الحروب والأزمات من خلال قوة تتفق عليها الفصائل العسكرية دون التدخل في برامج سير المجالس المحلية.

الخاتمة

ينظر أهالي الغوطة الشرقية إلى المصالحات على أنها محاولة لفهم خارج منطقتهم، خاصة أن التجارب السابقة في المصالحات لم تُفضِ إلى نتائج إيجابية في عدد من بنود اتفاق المصالحة كإطلاق المعتقلين وتحديد مصير المخطوفين بل زادت معدلات الاختطاف وخاصة في المعضمية وبرزة، بالإضافة إلى رفضهم الخروج من الغوطة بعد الإعلان عن المعابر الآمنة من قبل النظام وحليفه الروسي لمعرفتهم بأن الغوطة رغم الحصار إلا أنها تمتلك إمكانيات عسكرية كبيرة ما يصعب المعادلة على قوات النظام وحلفائها التي تحاول اقتحام الغوطة منذ بدء التدخل العسكري الروسي ورغم تمكنها من التقدم في عدد من المناطق، استعصت عليها جهات أخرى، وتكبدت على إثرها خسائر بشرية ومادية.

